مجلة الرائد

العدد : ٢١٠ الموافق في صفر ١٤٢٠ هجري ٦ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : المؤسسات التربوية وضرورة ترابطها[1]	بقلم : د. صلاح الدين النكدلي

ما المقصود بالمؤسسات التربوية ؟

نقصد بالمؤسسات التربوية تلك التي يناط بها تنمية الإنسان كلياً ، أو التي تهتم بتنمية جانب منه ، ويأتي في مقدمة هذه المؤسسات التي تُعنى بالتربية الإسلامية في أوروبا : **مؤسسة الأسرة ، والمسجد ، والمدرسة ، والمؤسسة الإغاثية ، والنوادي الرياضية ...**

ولا ينكر إلا جاحد دور الحركة الإسلامية المعاصرة الكبير في تحريك المعاني الإسلامية التربوية على المستوى الفردي والمؤسساتي ، وهذا التحريك أسفر عن ؛ نمو المعرفة بالإسلام ، وتحسين مستوى الإلتزام بأهداف الإسلام وشريعته لدى قطاع واسع من المسلمين ، سواء في نطاق الأسرة المسلمة ، أو المسجد الذي تعددت وظائفه بحسب الحاجة ، أو المدرسة التي تسعى إلى الارتقاء بالتربية الإسلامية عند التلاميذ ، أو المؤسسة الإغاثية التي تسهم في تنمية الشعور بأخوة الإسلام والتناصر بالحق ، أو النوادي الرياضية التي تشعر المسلم والمسلمة بأن الجسم السليم مطية العطاء الأوفر والأفضل .

ومع اعترافنا بالإنجازات الباهرة للحركة الإسلامية في ميدان التربية ، إلا أن ما قدمته يوصف **بأنه لازم ولكنه غير كافٍ** لتحقيق الأهداف الإسلامية التربوية المرجوة ، فما زالت الشقة بعيدة بين المأمول وبين الحاصل في الواقع سواء على المستوى الأفقي ؛ أي الانتشار في الأمة ، أم على مستوى عمق التربية في النفوس

الترابط واجب شرعي وضرورة حياتية :

أما كون الترابط واجباً شرعياً في المجالات التي تستدعي التعاون والتعاضد والتساند فلا غبار عليه ، ولا أعلم بوجود مسلم عنده مسكة من علم يرى أن التفرق المؤدي إلى الضعف والفشل هو الأصل ، بل الجميع يعلن أن اختلاف التنوع ظاهرة بشرية صحية ، وأن الأمر بالتعاون لا يلغي التنوع وإنما ينسق بينه ويرجح بدليل .

والعجيب الغريب نراه ونلمسه في الإقرار بواجب الترابط والتعاون من الناحية الشرعية ، فإذا دخلنا ميدان التطبيق افتقدنا التعاون الحق ، وذا جلسنا نفكر في أوضاع المسلمين محلياً وعالمياً أعلنا أسفنا وحزننا على شيوع التفرق في الأمة ، ولا يشذ عن ذلك فصائل الحركة الإسلامية المعاصرة !!

أما أن الترابط والتساند سنة بشرية فإننا نلمسه في حياة البشر قديماً وحديثاً ، والأمثلة كثيرة ، ولكننا

نشير إلى الاتحاد الأوروبي ، فعلى الرغم من التعدد اللغوي بين شعوب أوروبا ، وتعارض كثير من المصالح ، والأحقاد التاريخية ... إلخ ، إلا أن كثيراً من شعوب وحكام أوروبا يشعرون في الظروف الدولية التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية أن تعاونهم ضرورة حيوية ، فساروا على طريق الترابط وكلما اعترضتهم عقبات بذلوا جهوداً تتناسب مع التغلب عليها ، ولم تثنهم النكبات ولا المصالح عن توليد الحلول ، وكانوا وما يزالون يرفضون الاستسلام للمثبطات والعراقيل .

ولله در القائل :

كونوا جميعاً يا بَنيَ إذا اعترى خطبٌ ولا تتفرقوا أضداداً

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا

لماذا لا نسلك التعاون الجاد ؟

هناك أسباب كثيرة ، وأكتفي بذكر ما يظهر لي أنها أجمعها :

١. **ظاهرة الانتقاء من الأوامر الشرعية** : فهناك كثرة كاثرة من التيار الإسلامي تتعامل مع الأوامر الشرعية بانتقائية من غير أن يشعروا بالحرج ، بل قد يسوغون ترك العمل ببعض الأوامر الواضحة الجلية ، فهم - على سبيل المثال - يقرؤون قول الله تعالى { **أقيموا الصلاة** } وقوله عز وجل { **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** } أو قوله سبحانه وتعالى {**وتعاونوا على البر والتقوى**} فتراهم يصلون وينأون عن التعاون الواجب وعن الاعتصام بحبل الله مع أنهم يرون النتائج ويذرفون الدمع على الواقع المرير .

٢. **إحلال اختلاف التنوع محل اختلاف التضاد** : وهذه المشكلة لا يغرق في مستنقعها شباب أو أصحاب التحصيل العلمي المحدود ، لأنهم يعجزون عن تصور طبيعة الاختلاف ، بل يدخل في هذا الميدان أساتذة ودعاة ومن هنا يأتي الخطر الأكبر .

٣. خوف عامة العاملين من احتواء الآخرين أو من اختلاط الصور في أذهان الناس.

٤. **العجز عن صياغة صور للترابط والتعاون غير الصورة التقليدية** التي ترى انصهار الجميع في بوتقة واحدة على رأسها أمير له صلاحيات " أمير المؤمنين "

٥. **اعتماد معظم الفصائل على فكر فردي والافتقار إلى الرؤية الجماعية** .

٦. **ضعف الأخلاق الحياتية الجماعية** : لأن كثيرين يركزون على الأخلاق الفردية ولا يلتفتون

بجدية إلى الأخلاق الحياتية الجماعية ، فتراهم يخافون من المشكلات فيهربون إلى الأمام ظانين أنهم نجوا من الإشكال ، وتراهم غير قادرين على البحث عن قواسم مشتركة والتعايش مع الجوانب المتباينة ، وتراهم غير مستعدين للتنازل عن رأي اجتهادي وفق آلية تقدم رأياً وتؤخر آخر .

وبعد : فإن الترابط واجب شرعي وضرورة حياتية ، وهو ثمرة وجود اقتناع فكري وإلزام أخلاقي ، فإذا فقدنا الترابط فلنبحث عن الأسباب في الفكر أو القيم الأخلاقية أو كليهما معاً .

---

[1] **ملخص موضوع ألقي في مسجد الخليل ببروكسل ضمن محاضرات المؤتمر السنوي الواحد والعشرين لاتحاد الطلبة المسلمين في بلجيكا ورابطة التعاون الإسلامي (مسجد الخليل) بتاريخ ٠٢ .٠٣. ١٩٩٩**